التّصميم الحضري بين تحدّي الضّوابط الحضريّة وبين إدارة التنوّع والاختلاف تصاميم"أثاث الشّارع" مثالا

Urban design, between challenging urban controls and managing diversity and disagreement ‘’ Street Furniture designs ‘’ as an example

ا.د/ إيمان الصّكلي
أستاذة بالمعهد العالي للفنون والحرف بالمهدية، جامعة المنستير، تونس
دكتوراه بالمدرسة العليا لعلوم وتكنولوجيّات التّصميم، جامعة منّوبة-تونس
Prof. Imen Sakly
Lecturer at the Higher Institute of Arts and Crafts of Mahdia, University of Monastir, Department of Industrial and Traditional Design, Mahdia, Tunisia.
Doctor of sciences and technologies of design, « Higher School of sciences and Technologies of Design », University of Manouba, Tunisia.
imenimen.sakly@gmail.com

الملخّص:

تُبنى الحضارات مستفيدة من تطوّر المعارف وتلاقح مشاربها العلميّة، ويتجلّى هذا التطوّر في صور ومظاهر شتّى تُنبئ بما بلغته المجتمعات من رقيّ وثراء وتنوّع. ولعلّ من أبرز تجليّات الإبداع الإنساني في عصرنا هذا، التصميم الحضري للمدن والأثاث الذي يُعرض في ساحاتها وفضاءاتها، والذي غدا شاهدا حيّا على جوهر هذه الحضارة أو تلك، ومرآة لما بلغنه شعوبها من رفعة وسموّ. وقد شهدت هذه الفترة المعاصرة بزوغ اتّجاهات مختلفة تفرّعت عن علم التّصميم الحضري وممارساته. وهي اتّجاهات أثْرى النقد أصولها ودفع بمسيرتها الفلسفيّة نحو أفق جديد. والفلسفة من هذا المنظور هي الحبل السرّي الذي تغذّت عليه تلك الاتّجاهات منذ البدء، حيث أضفت على تصاميم وحدات "أثاث الشّارع" المستخلصة من جذورها النظريّة والتطبيقيّة عمقا حضاريّا بعيد الغور. يتّصل بهويّات الشعوب وخصوصيّاتهم الاجتماعية، والعرقيّة، والثقافية. وفي ظلّ استحضار هذا الثراء المعرفي، لا مناص من تعرية واقع إشكاليّة التّصميم الحضري في علاقته ب "أثاث الشّارع"، وذلك بتسليط الضوء على بعض الجوانب الملتبسة والمتّصلة ببروز التجاذبات المعرفيّة، واحتداد التصادمات الاجتماعيّة، وتضارب المصالح بين القوى السياسيّة التي كان من الممكن أن تتناقض مع الحريّة اللاّزمة للإبداع والابتكار. لكن، وعلى عكس ما كان متوقّعا، فإنّ هذه التباينات أدّت بجلّ المصمّمين إلى محاولة التّلاؤم مع كلّ قضيّة من القضايا المثارة والمرتبطة بالمجال العامّ.

من هذه الزّاوية المتعدّدة الجوانب، تناولت هذه الورقة العلميّة إشكاليّة تصميم "أثاث الشّارع" بين تحدّي الضّوابط الحضريّة وبين إدارة فسيفساء التنوّع والاختلاف. ناقش هذا المقال إذن، سبل مواجهة التحديّات الحضريّة بالنسبة إلى مصمّم "أثاث الشّارع"، فتناول إدارة التّصميم في المستويين التّشغيلي والاستراتيجي وتطرّق إلى أبرز الاتجاهات المعاصرة في التصميم الحضري وأثاثه، ومن هذه الاتّجاهات نذكر:

- الاتّجاه التّواصلي الذي تفرّع عنه اتّجاهان:
  - اتّجاه نفعي يستلهم أصوله من "ويليام جيميس" أو ما يسمّى بالأداتيّة حسب فلسفة "جون ديوي".
  - اتّجاه العقلانيّة التّواصليّة المبنيّ على نظريّة "هيبرماس".
- الاتّجاه العادل

وتوسّلنا في تحليل كلّ واحد من هذه الاتّجاهات بالمناهج العلميّة التطبيقيّة التي يعتمدها المصمّمون أثناء تناولهم للأطروحات الحضريّة العالقة.

الكلمات المفتاحيّة:
إدارة التّصميم، التّصميم الحضري، أثاث الشّارع، التنوّع، الظّوابط.

Abstract:
Civilizations are built benefiting from the development of knowledge and the cross-fertilization of their scientific paths, and this development is evident in various images and manifestations that predict the sophistication, richness and diversity of societies reached. Perhaps one of the most prominent manifestations of human creativity in our time is the urban design of cities and the furniture that is displayed in their squares and spaces, which has become a living witness to the essence of this or that civilization, and a mirror of what its people have reached of elevation and sublime. This contemporary period witnessed the emergence of various trends that branched out from the science of urban design and its practices. These trends enriched the criticism of its origins and pushed its philosophical journey to a new horizon. This is related to the peoples' social, ethnic, and cultural identities.
In light of this richness of knowledge, it is inevitable to expose the reality of the urban design issue and it’s relation to "street furniture". By shedding light on some ambiguous aspects related to the emergence of knowledge tensions, the intensification of social clashes, and the conflict of interests between political forces that could have been in conflict with the freedom needed for creativity and innovation. However, and contrary to what was expected, these discrepancies led most of the designers to try and adapt to each of these issues raised related to the public sphere.From this multi-faceted angle, this scientific paper addresses the problem of designing "street furniture" between the challenge of urban controls and managing the mosaic of diversity and difference. This article discusses ways to face urban challenges for the designer of "street furniture", dealing with design management at the operational and strategic levels, and concentrating on the most prominent contemporary trends in urban design and its furniture, and from these trends, we mention:

- The communicative trend, in which it branched two trends:
- Utilitarianism, whose origins are inspired by William James, or what is called instrumentalism according to John Dewey's philosophy.
- The direction of rationality based on the communicative Hiebermas theory.
- Fair direction :

We sought to analyze each of these trends with the applied scientific methods that the designers adopt as they adress to unresolved urban theses.

مقدّمة:

إنّ معيشنا اليومي متوتّر بإحداثيّات اجتماعيّة، وسياسية، واقتصادية. والأمكنة التي نَعبُرها يوميّا للوصول إلى وجهاتنا المدينيّة، مشحونة بالإشارات والمؤشرات الثقافية، حيث يكون المكان العمومي حاضرا بقوّة. ذاك الذي تتفاعل فيه ذواتنا مع الموضوعات المؤثّثة له، والتي تتكوّن وحداتها من؛ مقاعد وأعمدة الإنارة وحاويات المهملات. هذه الأمكنة يتحرك فيها الإدراك الذّاتي والموضوعي. ويتحرك فيها السّرد للتعبير عن الهوية الواقعيّة، والهويّة الإفتراضيّة. هو أيضا بؤرة الصّراع

ومعارك الهويّة، التي تكشف عن خطورة الأزمة، والتيه. كما يجب ألا ننسى أنّه مجال الإبداع المفعم بالدّلالات التي حرّرت الفضاء العام من قيود الرّوتين والرّتابة. وهو على نفس تلك الوتيرات، المجال الذي تُكثّف فيه وضعيات الاغتراب الدّلالي الذي أنهك الوعي البشري.

إنّ هذه الرؤية الأنطولوجيّة (Ontologique) والنّفسانيّة (Psychologique) للمجال العامّ بمكوّناته التأثيثيّة وأثرها على وتيرة الحياة اليوميّة، هي في جانب كبير منها من تصوّر المصمّم لأنّه بمثابة المُحرّك الأوّل لصناعة الوعي الجمعيّ المشترك للمجال العامّ بتفاصيله. والمحرّك الأوّل لتقنين الحراك الحضاري والفكري للمواطنين أولتفتيته.

لهذه الأسباب، يجتهد المصمّم لوضع موضوعات الفضاء العام تحت مجهر الاختبار، والفحص، والتوقع، والإستباق، واستبطان سلوك الفرد وسلوك المجموعة آنيّا وطوريّا، ومن ثمّة يُخضعه للتّأويل، وقد دُعّمت مثل هذه الإجراءات التّصميميّة في بلدان العالم الغربي خاصّة بدراسات أنتجها علماء الاجتماع وعلماء الإدراك، تخصّص بعضهم منذ عقود في دراسة الفضاء العامّ ومكوّناته من جهة. ومن جهة أخرى فإنّ هذا الفضاء وأثاثه الذي يتم التفكير فيه اليوم أيضا نظريّا وتطبيقيّا من قبل نخبة من المُصمّمين الأكفّاء آملين في جعله أهمّ استثمار عمومي إنساني يشكّل أداة لإدارة الاختلاف وفلسفة جديدة للتّعايش ليس فقط داخل المؤسّسة الصناعيّة الواحدة، بل أيضا أيضا لإدارة الاختلاف داخل المؤسّسة الاجتماعيّة.

يجسّد هذا التّعايش الرؤية المشتركة **لإدارة التّصميم** (design management)، حيث تدار التّصاميم بطرق وكيفيّات تختلف وتتفاوت بين المؤسسة الصناعيّة والأخرى من نفس القطاع. هذا ما يعزّز التّنافس بين المؤسّسات، ويبسط إمكانيّات زاخرة لإبتكار المفاهيم وإعادة صياغتها. فإدارة التّصميم هو شرط من شروط العمليّة الإبداعيّة وتوليدها، ولذلك تدمجها المؤسّسات الصناعيّة النموذجيّة لتصميم أثاث المدن كرهان تتحدّى فيه الضّوابط الحضريّة المستجدّة وتحاول أن تجد الحلول لمشاكلها العالقة.

إذن، من الضّروري إعادة التفكير اليوم في واقع انتقال الفضاءات الحضريّة ووقعها على نسق الحياة اليومية. ولعلّه من نافلة القول، أنّ هذا الإنتقال قد جاء نتيجة للطّفرة الهائلة التي أفرزها الأثاث المصمّم في فترة ما بعد الحداثة. وبالتّالي، يقتضي هذا التّفكير الحفر في الجهاز المفاهيمي لإدارة التّصميم ومستوياته الاستراتيجيّة والتّشغيليّة. كما سيكون من المفيد بمحلّ البحث في أهمّ التّصاميم الموجودة حاليّا بالفضاءات الحضريّة الحيّة والمباشرة لدراسة مدى تلاؤمها مع حاجيات المجتمعات وخصوصيّاتهم المختلفة.

مشكلة البحث:

تتلخّص في الكيفيّة التي يمكن أن تُدار فيها تصميم أثاث الشّارع استراتيجيّا وتشغيليّا، في ظلّ التحدّيات الحضريّة التي ازداد تفاقمها خاصّة في العشريّة الأخيرة بسبب التنوّع والاختلاف الاجتماعي. ومدى انعكاس هذا التنوّع والاختلاف على الإبداعين الإداري والميداني، ودور المشارب الفلسفيّة والمعرفيّة في صقلهما.

تحديد المصطلحات:

اعتمدنا في المقال على مصطلحيْ التنوّع والاختلاف، وفي خضم بحثنا هذا لا يمكننا أن نتجاهل حضور مسألة الهويّة أو الجوهر وهذا ما ذهب إليه جون لوك (John Locke) حين بيّن أنّ التنوّع ليس مرادفا للجوهر بل هو مرادف للجواهر: "إنّ ما له نفس البداية هو نفس الشيء (الهويّة، الجوهر)؛ وأنّ ما له بداية مختلفة في الزمان والمكان عن تلك البداية يمثل التنوع لا الهوية" (جون لوك، ٢٠١٠، http://sophia.over-blog.com/article-44591689.html).

وقد ورد في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة شرح التنوّع على النّحو الآتي "تنوّع يتنوّع، تنوّعا، فهو متنوّع. وتنوّعت الأشياء تصنّفت وصارت أنواعا "تنوّعت الحلول بتنوّع المشاكل. صنّفها وجعلها أنواعا مختلفة -نوّع أساليب العمل". (أحمد عمر،

٢٠٠٨، ص٦٠٣٢)، واللّفظ متعلّق بصنف من الأصناف. وأمّا في معجم الصّحاح في اللغة فقد شرحت الكلمة على أنّها متأتّية من لفظ "نوع والنّوع أخصّ من الجنس، وقد تنوّع الشّيء أنواعا". (إسماعيل بن حماد الجوهري، ٢٠٠٩، ص٩٧١١). في حين أنّ الاختلاف أُردف بلفظ خِلفة أي مختلفون، والخلفة الشطرة والنّصف، والخلفة: اختلاف اللّيل والنّهار، ومنه قوله تعالى: {وهو الّذي جعل اللّيل والنّهار خِلفة} [الفرقان: ٦٢] (إسماعيل بن حماد الجوهري، المرجع السّابق، ص٨٣٣).
وأمّا "مختلف فهو {مفرد}: اسم فاعل من اختلف/ اختلف إلى/ اختلف على/ اختلف عن/ اختلف في" (أحمد عمر، مرجع سابق، ص٧٨٦).

ومن منظور آخر، اقترن حضور التنوّع والاختلاف بمفهوم الغير، والذين ضربا بجذورهما في أعماق الفلسفة اليونانيّة، واستمدّا كنههما من الفلسفة الهيقيليّة التي اعتبرت أنّ الاعتراف بالآخر هو من الضروريات. وفي التمثلات الشائعة، يتّحذ مفهوم "الاختلاف" دلالة سلبيّة في علاقتها باللآخر أو الغير المختلف عن الأنا. وقد يكون الاختلاف فروقا اجتماعيّة، أو حضاريّة، أو طبقيّة، أو إثنيّة، أوعرقيّة...ومن الممكن أن يتساوى الاختلاف مع المماثلة؛ فقد بيّن كانط أنّ الوجود الإنساني وجود يتّسم بالإرادة والتّفاعل والتّبادل ويقيم من أجل ذلك مماثلة بين الأنا الآخر، كما ويقدّم أيضا فرضيّة أخرى مفادها أن الغير يتماثل مع الأنا، والعكس صحيح.

أهميّة البحث:

تنبع أهميّة هذا البحث من عدّة نقاط جوهريّة، فهو يسلّط الضّوء على الطّرائق التصميميّة والمناهج المعرفيّة المتنوّعة التي تعتمدها مؤسسات صناعة وحدات "أثاث الشّارع" وإدارتها ميدانيّا ومؤسّساتيّا لسدّ الاخلالات النّاجمة عن الاختلاف الثّقافي والتباين الاجتماعي داخل الفضاءات الحضريّة. وعلى هذا الأساس فهو يلقي الضّوء كذلك على مواضيع تتعلّق بالمتغيّرات الجديدة والمستجدّة الناتجة عن بروز فضاءات حضريّة متنوّعة تصل حدّ التّباين والتناقض داخل المدينة المعاصرة الواحدة في بعض الأحيان.

هدف البحث:

الهدف الرئيس من هدا البحث هو إظهار آليّات التّرابط بين المستوى التّشغيلي (العمليّاتي) والمستوى الاستراتيجي (السّياسي) وخصوصيّاتهما التصميميّة المقترنتان بمدوّنة بحثنا "أثاث الشّارع"، وذلك للحصول على نتائج تساعد المصمّم مستقبلا لسدّ الفجوة بين العمل المؤسّساتي (داخل المؤسّسة الصناعيّة) وبين العمل في الميدان الحضري (خارج المؤسّسة الصناعيّة).

فرضيّة البحث:

إذا اعتبرنا أن إدارات التصاميم قد عرفت أوج ازدهارها في الفترة المعاصرة بفضل الانفتاح على العلوم والمعارف الجديدة، فإنّ إدارات تصاميم وحدات أثاث الشّارع مازالت تواجه تحدّيات وعقبات بسبب المتغيّرات المستمرّة والسّريعة التي طرأت على الفضاء الحضري، والتي أفضت إلى تقسيم جغرافي اجتماعي متنوّع ومختلف وفي أحيان أخرى متباين ومتناقض، وقد انعكس ذلك على كيفيّات عمل المصمّم وسبله (المعرفيّة والميدانيّة) في رفع التحدّيات.

حدود البحث:

اقتصر هذا المقال على تناول المستوى التّشغيلي والمستوى الاستراتيجي لإدارات تصاميم "أثاث الشّارع"، ولم يتطرّق باستفاضة إلى المستوى التّكتيكي أو الجانب التّسويقي لتصاميم "أثاث الشّارع" لأنّ إمكانيّة فرص التبادل بين المستويين الاستراتيجي والتّكتيكي قائمة في المؤسّسة الصّناعيّة، لذلك اكتفى المقال بالتّعريج على بعض النقاط التكتيكيّة في خضم تحليل المقال.

منهجيّة البحث:

توخّينا المنهج التّحليلي والمنهج الوصفي. ولقد انطلقنا في ذلك من الكلّ المتدرّج نحو الجزء، مرتكزين في ذلك على مفهوم **إدارة التّصميم** وتحديدا إدارة تصميم "أثاث الشّارع" داخل المؤسّسة الصناعيّة وخارجها أي في الفضاء الحضري ومستوياته الآتية:

- المستوى التّشغيلي: تعمّقنا في تحليل المرحلة التّشغيليّة للتّصميم ومراسم العملية التصميمية، بدءا بتحديد الوظائف المتعلّقة بالهيكل التّنظيمي للمؤسّسة الصناعيّة والمتكوّن أساسا من؛ مصمّم ومدير التّصميم وقائد التّصميم مرورا بالتّمييز بين استراتيجيّة التّصميم واستراتيجيّة المواقف وبين استراتيجيّة الطّوارئ مع تقديم أمثلة من نماذج عالميّة من مؤسّسات صناعة أثاث الشّارع، ووصولا إلى توضيح دورة حياة المشروع التصميمي وممارساته.
- المستوى الاستراتيجي أو السّياسات المؤسّساتيّة: فتعرّضنا إلى أهمّ السّياسات والاتّجاهات التّصميميّة المتوخّاة كخطة عمل قاعدية للهيكل التّنظيمي ومن أهمّ هذه الاتّجاهات الاتّجاه التّواصلي والتي تفرّعت عنها المنفعيّة والعقلانيّة التّواصليّة، الإتّجاه العادل... كما آثرنا الإلمام بصورة بعض المدن وآليّات صناعة تصاميم أثاثها في العالم بين الرّهانات والتحدّيات. وعليه، ارتأينا في هذا المستوى تقديم لمحة عامّة عن صور بعض المدن الحضريّة من شتىّ أنحاء العالم وعرض الحلول المقترحة لجعلها أكثر اتّزانا وأكثر تماسكا.

المبحث الأوّل: إدارة التّصميم داخل المؤسّسة الصناعيّة

المطلب الأوّل: مقاربة مفاهيمية بين التّصميم وإدارة التّصميم:

اختلفت معايير واستراتيجيّات هذا العصر عن سابقيه نتيجة التحوّلات المركّبة في مظاهرها وأبعادها من النّواحي الاقتصادية، والاجتماعيّة، والثقافية، والتكنولوجية، وهو ما نطلق عليه تسمية العولمة، التي تتحكّم في مجرياتها كيانات، وتكتلات الدوّل العظمى عن طريق القوى المؤسساتية الصناعية في العالم، هذا إلى جانب ما أسفرته هذه الكيانات الجديدة من بزوغ اتجاهات مفاهيميّة جديدة مثل: "التصميم التشاركي، والتّصميم التّعاضدي، والتّصميم التّواصلي... هذه المفاهيم أحدثت الفارق بين المؤسّسات. بحيث شكّلت هذه المفاهيم الأرضيّة التي انطلقت منها قيم جديدة للمواطنة وللمجتمع. كما شكّلت هذه القيم منعرجا حاسما في تطوّر صناعة الأثاث في المدن، خاصّة في خضم التّنافس الشديد بين المؤسّسات النّاشطة في نفس القطاع. ولا بدّ أن نشير هنا إلى أنّ هذه المسائل المفاهميّة والقيميّة تنضوي جميعها تحت مسمّى مفهوم **"إدارة التّصميم"**. ويعتبر المفهوم مفصليّا في فهم أصول مؤسّسة صناعة الأثاث وفروعها. لكن وقبل البدء بالتّعرّف على مفهوم إدارة التّصميم، ينبغي علينا البحث في مفهوم **التّصميم** ذاته ووظائفه وذلك لفهم الكيفيّة التي يدار بها التّصميم داخل المؤسّسات الصناعيّة.

إذا ما أمعنا النّظر جيّدا سنجد أنّ "كلمة **(design)** تحتوي على مقطعين **(signum)** وتعود في أصلها الاشتقاقي من اللاتينية والمرادفة للعلامة أو الأثر والبصمة، ومن **حرف الجرّ (Préposition) "de "** السابق للكلمة "العلامة" وذلك للدّلالة على أنّ معناها الوظيفي هو الإضافة والمفعوليّة" وللدّلالة على المعنى الوظيفي نفسه للمصمم والتّصميم معا.

وهو**"مفهوم، جذوره تذهب من خلال الإيطاليّة إلى اللاّتينيّة عبر كلمة «designare» والتي تفيد معنى "بيّن"، "دلّ على"، "لقّب" و"عيّن" و"أشار" بمعنى آخر المفاهيم التي تظهر لتشير إلى "الدّلالة" و"البيان" و"الرّسم"، و"الإشارة و"العلامة "قبل أن تدخل هذه الكلمة حيّز الإستخدام في التّاريخ الفكري البريطاني وفي اللّغة المحكيّة البريطانيّة"**(Stéphane Viale, 2010, p.7,8).

"من الممكن أن يستخدم التّصميم كاسم أو فعل، وهو في العادة مرتبط بالفنون التطبيقيّة والهندسيّة. فالتّصميم (كفعل) يعود إلى عمليّة إنشاء وتطوير مخطّط لمنتج معيّن، أو هيكل أو نظام أو عنصر ذي هدف معيّن، (وكاسم)، فإنّ التّصميم

يُستعمل إمّا للخطّة النهائيّة (كاقتراح، ورسومات، ونماذج، أو مواصفات) أو يُستعمل لنتائج تأدية تلك الخطّة في الشّكل النّهائي للمنتج أو المشروع في عمليّة التّصميم" (Cambridge Dictionary of American English, 2007, p 43).

وعليه، إذا ما أعدنا ميزان النّظر في معنى التصميم سنجد أنّ التّصميم يتجاوز كونه مجرّد شكل، فهو وإلى جانب ذلك تكوين بصريّ وأسلوب للتّصميم وهو أيضا "قصديّة"، و"نيّة"، و"حيلة المصمّم" و"حبكته" و"ذكاءه". من هذه الزّاوية المتعدّدة الجوانب، يمكننا القول أنّ التّصميم لا يقتصر فقط على تنفيذ خطّة مشروع تصميميّ يمكن تجسيده من خلال وسائل الرّسم أو النّمط، بل هو أشمل من ذلك وأعمق، فهو يعني الهدف والغاية من السيرورة التصميميّة (في ذاتها ولذاتنا).

بهذا إذا ما أردنا اختزال كلمة تصميم فإنّها ستأخذ تفسير المعادلة الآتية: الهدف+ الرّسم= التّصميم

هذه المعادلة توضّح النّقطة التي يفترضها التّصميم من الخطّة والهدف والرّسم، ولا سيما في المراحل الإبداعيّة التحليليّة.

هذا فيما يتعلّق بالتصميم، وأمّا إدارة التّصميم، فقد ظهر اصطلاحا في أوائل العشرينات من القرن الماضي مع الشّركة الألمانيّة المختصّة في تصنيع البطاريّات الإلكترونيّة (Allegemine Elektrizitats Gesellschafl) (AEG).

على الرّغم من ذلك، فإنّ المصطلح لم يتّضح فعليّا كمفهوم إلاّ مع المحاضر فار سنة ١٩٦٦ في إحدى المحاضرات، حيث ركّز هذا الأخير على كيفيّة تعريف التّصميم ووظيفته في الأعمال، وعلى الآليّات التي تسمح بتزويد المفهوم بالمصطلحات والمناهج الضروريّة التي تجعله يُدار بطريقة فعّالة.

ومقتضى السّياق أن نعرّج إلى أنّ مفهوم إدارة التّصميم قد مرّ بعدّة أطوار تاريخيّة عكست جوهره، أهمّها بعض التحركات التي أسفرت عن تأسيس المعهد البريطاني للتّصميم سنة ١٩٤٤ وذلك تحت إشراف الحكومة البريطانيّة كمعهد صناعي. بالإضافة إلى ذلك انعقاد "مؤتمر التّصميم" في "أسبن" وتحديدا في مدينة "كولورادوا" بفضل المصمم الصناعي "والتر بايبكي" (walter peapcke)، والذي دعا فيه إلى ضرورة التبادل المعرفي بين المصمّمين ورجال الأعمال وتقريب وجهات النّظر بين الحاضرين. وقد أُختير من أجل ذلك محور "التصميم وظيفة من وظائف الإدارة" عام 1951 ليُنافش في أوّل جلسة من جلسات المؤتمر. ولا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ فقد ساهم بيتر غروب (وهو من أبرز مؤسّسي إدارة التّصميم والمدير الرّسمي لمركز لندن للأعمال لإدارة التّصميم) من خلال مقالاته في التأثير على خبراء الأعمال في كيفيّة فهم جهد التّصميم ونفوذه في تغيير خارطة الاقتصاد العالمي، كما أثّر هذا الباحث على المصمّمين في كيفيّة رؤيتهم وتصوّرهم لبيئة

الأعمال.على هذا الأساس، تمّ تدارك الأخطاء النّاجمة عن بيئة إدارة الأعمال وفهم قيمة التّصميم، فكان الهدف من ذلك هو الرّفع من أهميّة التّصميم كجزء أساسي في استراتيجيّة إدارة الأعمال.

في الوقت الحاضر "برهنت إدارة التّصميم على أهميّتها في تطوير المجتمع والاقتصاد، إذ أصبح على المرء المعاصر فهم التّصميم من جميع جوانبه، كفنّ عصري يتمّ تطبيقه في جميع المجالات. وقد أصبحت إدارة التّصميم أداة مهمّة في تنظيم وهيكلة المشاريع في هذا العالم الاقتصادي المعقّد"(دانة عمرو، ٢٠٠٩، ص٢٣).

ممّا هو جدير بالذكر، إلى أنّ ابتكار مفهوم "إدارة التّصميم"، قد هيّأ الأرضيّة الملائمة لإحداث نقلة معرفيّة ابستيمولوجيّة في طرق تنظيم المشاريع وهيكلتها بصفة عامّة، وفي كيفيّة تناول تصميم "أثاث المدن" داخل المؤسّسات الصناعيّة بين أصحاب الأعمال والمصمّمين بصفة أخصّ.

الفرع ب: نحو إجرائيّة مفهوم إدارة التّصميم وتحديد مستوياته

يتموضع التّصميم في إدارة المؤسّسة أو المنظّمة على مستويات مختلفة:

يؤثّر التّصميم على المستويات الاستراتيجيّة (الاستراتيجية السياسيّة الشاملة) والتكتيكيّة (الأعمال)، والعملياتيّة (التشغيليّة) والعكس صحيح. وإنّ رؤية قائد التّصميم تنفّذ إجرائيّا من طرف مدير التّصميم. ويشرف هذا الأخير على عمليّات التّصميم فينسّق بين خطواتها وحلقاتها التّنظيميّة. في حين يعدّ المصمّم هو المنطلق. والمحتوى هو نقطة البدء في المشروع التّصميمي. وبذلك نفهم مسؤوليّات ومهامّ كلّ مرحلة في إدارة التّصميم كما هو موضّح في الشّكل أدناه.

شكل (١) مسؤوليّات ومهامّ كلّ مرحلة في إدارة التّصميم (المصدر Best ٢٠٠٦)

على هذا الأساس، يمثّل الرّسم البياني الهيكل التنظيمي للمؤسّسة الصناعيّة، فقائد التّصميم هو الخبير الاستراتيجي لخطّة العمل. أمّا مدير التّصميم فهو المسؤول عن تنسيق جهود فريق العمل، والذي يتكوّن عادة من مصمّمين صناعيين، ومهندسين عمرانيين، وفنّانين تشكيليين... وإليه أيضا توكل مهمّة العمليّات التّصميميّة لتوجيهها نحو الهدف المأمول، وأمّا المحتوى فهو من مشموليّات المصمّم بوصفه حاملا لفكرة التّصميم وفحواه.

المطلب الثاني: المستوى العمليّاتي: بين الاستراتيجيّات التّصميميّة والاستراتيجيّات المؤسّسيّة

الفرع الأوّل: رسم استراتيجيات التصميم

فرع.أ: تموضع التّصميم: الأطراف والضّوابط والتمشّي والممارسة

يقول "رايموند لوي" القبيح يباع بشكل سيّء"، وتنطبق هذه المقولة التي تعود إلى سنة ١٩٦٣ على السّلع عندما يفوق حجم العرض حجم الطّلب، حيث يبقى تفنيد هذه الأطروحة رهين تأمين سير العمليّة التّصميميّة ومداراتها الإستيتيقيّة.

فالمسار العمليّاتي هو القلب النّابض للمؤسّسة الصناعية وحياتها. إذ لا يقلّ المستوى العمليّاتي أهميّة عن المستويين التّكتيكي والسّياسي، بل إنّ المستوى العملياتي يقيم الصّلة بين التكتيك والاستراتيجية. والمصمّم على نفس الدّرجة من الأهميّة التي

يحضى بها مدير التّصميم وقائد التّصميم، ففي أحيان كثيرة يكون المصمّم فيها بمثابة همزة الوصل أو الجسر الذي تعبر من خلاله الأفكار من مدير التّصميم إلى قائد التّصميم لتُمرَّر وتُجسّد على أرض الواقع. **"لهذا السّبب يصف "هنري درايفيس" (Henry dreyfuss) المصمّم بالدّيبلوماسي، ولكنّه يشترط فيه أن يكون فاعلا ومقنعا في نفس الوقت، ويكون ذلك باقناع قائد التّصميم بجدوى التّصميم وفاعليّته"** (Cabirio Cautela, et al, 2012, p. 23) فالمصمّم المحترف يمتلك من آليّات التّواصل ومن الخبرة الإجرائيّة ما يخوّل له فرض نفوذه التّصميميّ بذكاء وحنكة. ولابدّ من الإشارة في هذا الإطار إلى أنّ قوّة التّصميم وبراعته قد يكونان فيصلا في تحديد توجّهات المؤسّسات وخياراتها، وبالتّالي فهما الضّامنان لصمود المؤسّسة تنافسيّا.

وعليه، قد تلجأ المؤسّسات الصناعيّة إلى استراتيجيّة المواقف عندما تواجه المؤسّسة موقفا يستوجب تغييرا في خططها وأهدافها المرسومة على المدى الطّويل فتكون قريحة المصمّم بمثابة صمّام الأمان للمؤسّسة باعتباره المحرّك الأوّل للإبداع والإبتكار.

ومهما يكن من أمر، فإنّه وإلى جانب استراتيجيّة المواقف قد تلجأ المؤسّسة إلى استراتيجيّة أخرى تُعرف باسم استراتيجيّة الطّوارئ وفي هذا الاستراتيجيّة يتمّ إعتماد تصاميم طارئة للغرض يُعوّل فيها على بديهة المصمّم، حدسه وذكاءه.

لكنّ المتعارف عليه، أنّ المصمّم الصّناعي يتوخّى في تصاميمه خططا محكمة تعرف باسم استراتيجيّة التّصميم حيث تعمل هذه الأخيرة جنبا إلى جنب مع استراتيجيّة المؤسّسة فتترجمها عمليّا، حيث يتبوّأ فيها المستعمل مكانة مركزيّة في عمليّاتها التّصميميّة، وفي هذا السّياق، أشار المحاضر هنري درايفيس في المحاضرات التي ألقاها سنة ١٩٥٥إلى أهميّة هذه العلاقة التي تجمع المصمّم بالمستعمل، ولهذا السّبب أُدُّخرت جميع محاضراته لندرتها في كتاب واحد كتب باللغة الانجليزيّة وعنون ب: (Designing for people).

في مقابل ذلك، قد تكون استراتيجيّة التّصميم فاعلة في تشكيل استراتيجيّات مؤسّساتيّة أخرى جديدة. وبناءً على ما تقدّم، تظبط استراتيجيّات المؤسّسة حدود التّصميم الحضري وأهدافه، ويتولّى التّصميم المؤثّر في بعض المواقف تشكيل الرّؤى الاستراتيجيّة للمؤسّسة. وفي هذا الإطار، **"يقول آلن جكبسون: إذ استطعنا تطوير وتصميم الشّوارع التي نعيش فيها، بحيث يكون وجودنا فيها رائعا وممتعا، وتكون بمنزلة أماكن بنّاءة للمجتمع، تعمل على جذب الجمهور نكون حينها قد نجحنا في تصميم ثلث المدينة بشكل مباشر كما سيكون لنا عظيم الأثر في بقيّة الأعمال"**(مجلس أبو ظبي، ٢٠١٣، ص٢٢).

الفرع الثّاني: الدّائرة المغلقة لديناميكيّة التّصميم

من مراسم تصميم أثاث الشّارع أن يخطوا المصمّم فيها خطوات منهجيّة لبلوغ الأهداف المرجوّة من التّصميم التّاثيثي وتجسيد المقاصد المعلنة من التّصميم.

وتأتي العمليّة التصميميّة وفق مراحل متوالية، هي عصارة جهد وبذل لإخراج تصاميم تأثيثيّة ذات جودة، ويستهلّ المصمّم عمله بعمليّات بحثيّة هي عبارة عن مسارات تصميميّة وخواطر وعواصف ذهنيّة متواصلة تبدأ بتعيين السّياق الحضري ووحداته التأثيثيّة لإيجاد حلول لمشاكل سابقة واجهها المستعمل بتأصيل ممارساته الحضريّة الإيجابيّة، واستئصال ممارساته الحضريّة السلبيّة أو تعديل بعضها.

وفي المرحلة الثّانية تتبلور المعالجة وفي هذا الميدان، يعتمد الباحث على جملة من النظريّات والمناهج والعلوم لتعيين مواطن الخلل في التّصاميم السّابقة لإعادة تصميمها وتخطّي نقائصها، وتعتبر هذه المرحلة من أشدّ المراحل تعقيدا وتركيبا حيث يعسّر اختيار مقياس موضوعي ناجع للغرض.

في المرحلة الثّالثة، يشرع المصمّم في صياغة أفكاره العمليّة كتابة ورسما، ليجسد من خلالها رؤاه التّصميميّة وفلسفته إزاء الممارسات الحضريّة، وفي المرحلة الرّابعة يجري اختبار التّصاميم وتجربتها للتثبّت في مدى وملاءمتها للاستعمال وللممارسة. وأمّا فيما يتعلّق بالمرحلة الخامسة فتُنسب إلى الإصدار وفي هذه المرحلة يتمّ إنتاج المنتوجات التأثيثيّة لإرسالها إلى السّياق المحدّد له، ليعاد في مرّة سادسة قياس التّفاعلات والممارسات المتعلّقة بالتّصاميم بعد طور الإصدار لتكون النّتائج المستخلصة إثر هذه المرحلة مادّة قيّمة للتعلّم والفهم وبالتّالي إعادة التّصميم.

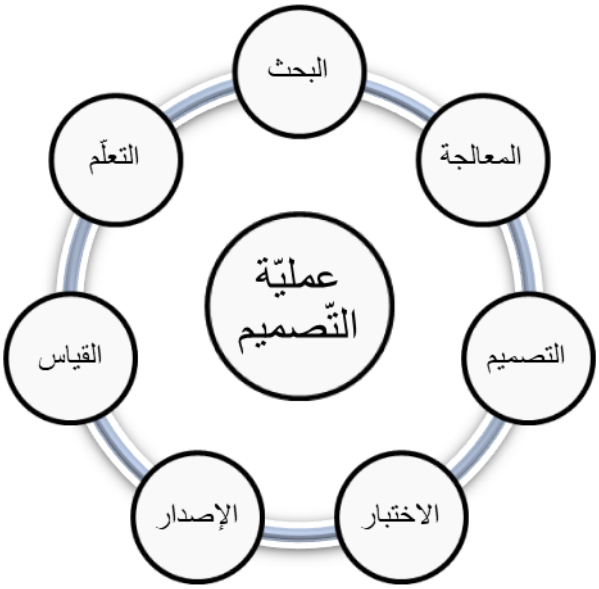

الشكل (2): دورة حياة عملية التصميم

المبحث الثّاني: إدارة التّصميم خارج المؤسّسة الصناعيّة

المطلب الأوّل: سياسات مؤسّسات صناعة الأثاث للشّارع

الفرع الأوّل: التذبذب بين المناهج المعياريّة والمناهج الواقعيّة التوصيفيّة

تعمل المؤسّسات الصناعيّة جاهدة لتوفير جوّ ملائم للديمقراطيّة وذلك ب "ترسيخ فكرة الموضوعة المصمّمة المتحرّرة والممارسة الدّيمقراطيّة للأثاث بالشّوارع (أنظر الصّورة رقم (١)). ويمكن أن يكون ذلك عن طريق إشراك جميع المواطنين. فبعد النّتائج الهزيلة التي أفرزها الاتجاه العقلاني" (Andreas Faludi, 2004, p.1349, 1365) الذي يستلهم من واقع نظريّات مسقطة أنتجتها المجتمعات الغربيّة (أوروبيّة وأمريكيّة وأستراليّة)، لم يكن هناك مناص من بروز اتّجاه آخر يسعى إلى تقويم التّصميم ألا وهو الاتجاه التّوصيفي الواقعي الموضوعي، والذي لا يحتمل فكرة المنتَج القابل للتّعميم والاستنساخ. حيث "أنّ كلّ مشروع تصميمي حالة متفرّدة لها أُطرها وظوابطها الخاصّة والتي تستدعي حكمة معرفيّة في التّعامل" (الطّاهر لدرع، ٢٠١٦، ص. ١٠٧). ومن المرجّح أن تؤدّي هذه النّتيجة إلى مزيد التنظيم والتّعبئة الجماهريّة حول هذا التّصميم الذي سيكون فعّالا، وبالتّالي استقطاب عدد أكبر من المواطنين يفوق الذين كانوا قد أبدَوْا سابقا ولاءهم للمؤسّسة الصناعيّة ولعلامتها التجاريّة.

صورة (١) مثال من التصميم الديمقراطي موجّه إلى الفضاء الحضري، وهو تصميم استشرافي سيكون متاحا لعموم المواطنين الرّاشدين للاستعمال عبر نظام خاصّ، وهو أيضا تصميم يتراوح بين الثابت والحركة، ويتحرر من الظوابط الحضريّة المألوفة https://urlz.fr/gt3K

الفرع الثّاني: مؤسّسات صناعة "أثاث الشّارع": الرّهانات والمقوّمات

تراهن المؤسّسات الصناعيّة العالميّة المابعد-حداثيّة التي تميّزت في تصنيع أثاث الشّارع، على **المعرفة المحليّة (local konwledge)** وعلى معرفة الخبراء، بالتّالي فهي تراهن على المواطن كقيمة ليس فقط من منطلق كون المصمّم أوّلا وقبل كلّ شيء هو مواطن مثقّف حامل وباثّ لرسالة سيميائيّة بصريّة وظيفيّة وأيضا رمزيّة يستقيها من الممارسة اليوميّة كشكل من **"أشكال الحياة"**[١] والتي يضعها في مرحلة لاحقة تحت مجهر العلم والخلق والتّصميم، بل وأيضا تراهن مثل هذه

المؤسّسات المابعد حداثيّة على تشريك أكبر عدد من المواطنين في السيرورة الإبداعيّة، بوصف المواطن حلقة أساسيّة من الثّالوث الآتي: المصمّم والمنتج والفضاء.على هذا الأساس، حقّقت بعض المؤسّسات العالميّة في صناعة أثاث المدينة الرّيادة في السّوق العالميّة نتيجة المراهنة على المواطن أو الرأسمال البشري والدّور الذي يلعبه في إعطاء المؤسسة ميزة التنافسيّة التي تخوّلها التفوّق عن باقي المؤسّسات. ومن بين أبرز هذه المؤسّسات نذكر شركة "جون كلود ديكو" (Jean-Claude Decaux) التي **"تستحوذ على نسبة ثمانين بالمائة من السّوق العالميّ في صناعة أثاث الشّارع وتحديدا في وحدة صناعة الواقيات الإشهاريّة الحضريّة (المخصّصة لمحطّات النّقل)، بفضل توسيع أصناف الإنتاج في هذه الوحدة"**(Diane bégard, 2009, p.38).

بالإضافة إلى شركات أخرى، على قدر كبير من الحضور في السّوق العالميّة، ومنها شركة "سيروكو" (Sirocco) شركة "ايسكوفي" (Escofet)، وشركة "جنرال دي غرانيت" (Générale du Granit)، وشركة "تورن إيروفان" (Thorn-Europhane). من هذا المنطلق، تعمل مثل هذه المؤسّسات الصناعيّة جاهدة لبسط استراتيجيّاتها وخططها الآنيّة والمُستقبليّة، وذلك بترسيخ فكرة "التّصميم الدّيمقراطي" في المدن عن طريق تشريك جميع المواطنين.

فرضت جملة هذه التّغييرات ترسيخ ثورة مفاهيميّة حديثة عمادها المواطنة اعتمدتها أغلب المؤسّسات الصناعيّة المعاصرة، الأمر الذي افترض إلتزام كلّ الأطراف المتعاقدة مع المؤسسات الصناعيّة من مصممّين، وفنّانين، وقياديين، وإداريين، بالمبادئ والقيم التفكيريّة والتصميميّة الجديدة منها، والمستجدّة. وفي هذا الصّدد، يمكن التّنويه إلى أمثلة من هذه المبادئ والقيم، وتتضمّن ثقافة المؤسسة، وهويّتها، وفخر الملكيّة، والرّسائل البصريّة التي يبثّها المنتج، والتي تسعى هذه المؤسسات بدورها إلى تمريرها إلى المتلقّي عبر وساطة المنتوج. علاوة على ذلك تتصدّر الأصالة، وتقدير الذّات، والإستدامة، والتفرّد، والطّرافة الطّليعة في أبحاث المؤسّسات.

من النّاحية الإجرائيّة، تسعى المؤسّسة الصناعيّة للأثاث الحضري من خلال جملة تلك الالتزامات والظّوابط إلى بلوغ الإبداع في إدارة التّصميم. ويعدّ هذا الأخير أحد أهمّ الرّكائز التي من شأنها تحقيق الميزة التنافسيّة للمؤسّسة. فعبر الجمع بين التّخطيط والتّطبيق تتّخذ كلّ مؤسّسة مسارا أواتّجاها تفرض من خلاله نفوذها الاستراتيجي في التّسويق.

المطلب الثّاني: المستوى الاستراتيجي للمؤسّسات وأدوات العمل الميداني

الفرع الأوّل: الاتجاهات الحديثة في استراتيجيّات تصاميم أثاث الشارع

بدأ الإهتمام بتطبيق الاتجاهات الجديدة في التّصميم في علاقتها بالمواطن داخل المؤسّسات واعتمادها كخطط استراتيجيّة أساسيّة لها. وفي نفس هذا السّياق نذكر أهمّ الاتّجاهات في تصميم أثاث المدينة التي غيّرت من خارطة المدينة وممارساتها وهي كالآتي: والاتجاه التّواصلي/ التّعاضدي في التّصميم، واتّجاه المدينة العادلة واتّجاه التّصميم المستدام واتّجاه ممارسة التّصميم بحكمة واتّجاه تصميم أثاث مدينة الثّقافات الاثنيّة المتعدّدة. (سنتناول أغلبها بالتّحليل تباعا)، جميعُها تعمل كوسائط لتمكين المؤسّسات من أن تعمل مع الدّولة أو خارج الدّولة وأحيانا كثيرة ضدّها.

الفرع أ-الإتّجاه التّواصلي/ التّعاضدي في التّصميم

إنّ فشل الاسترتيجيّات السّابقة للمؤسّسات الصّناعيّة، قد غذّت الاعتراضات التي برزت ضدّ المبدأ الفوقي للتّصميم الذي يعتمد على سيادة الخبراء وريادتهم للعمليّة التّصميميّة، وهو ما دفع بالاتجاه التّواصلي في التّصميم الذي يُكرّس المشاركة الشّعبيّة إلى البروز كاتّجاه بديل.

يلقى هذا الاتجاه رواجا كبيرا لدى المُشتغلين بقضايا التّصميم والمواطن. إذ هو ينطلق من فكرة مفادها أنّ مجتمع المدينة ليس كتلة متجانسة، بل هو تركيبة فسيفسائيّة لعدّة فئات اجتماعيّة متجاذبة ومُتعارضة مصالحها، ولحلّ هذا الإشكال فإنّهم لا يرون أفضل من العمل بمبدأ التّواصل والحوار بين مختلف الأطراف الاجتماعيّة.

ينهل المنهج التّواصلي من تيّارين فلسفيّين هما تيّار **المنفعيّة (pragmatisme)** التي أسّس لها "ويليام جيميس" والتي تفرّعت عنها الأداتيّة التي نادى بها الفيلسوف الأمريكي جون ديوي وتيّار نظريّة العقلانيّة التّواصليّة ليورغن هيبيرماس (يؤمن يورغن هيبرماس أنّ فكرة المجال العام هي فكرة تحريضيّة، **تحفيزيّة (*motiving*)**، وليست مجرّد فكرة **وظيفية (instrumentale)**، وهو بذلك يؤكّد التّأثير المستقلّ للمجال العام في **الفعل(action)**.

المجال العامّ هو ظاهرة اجتماعيّة أوليّة، شأنها شأن الفعل، والفاعل، والجمعيّة (*association*)، والجماعة (*collectivity*)، لكنّها ظاهرة تُستعصى على المفاهيم التقليديّة ل "النّظام الاجتماعي". المجال العام لا يمكن فهمه كمؤسّسة، ولا كمنظّمة بطبيعة الحال، بل إنّه ليس إطارا من الأعراف يضمّ كفاءات وأدوارا متباينة وأنظمة للعضويّة، وإلى ما هنالك. وهو لا يُمثّل إلى حدّ ما منظومة، ولكن يسمح لمنظومة ما بإحاطة نفسها بتخوم داخليّة. وهو يتميّز بآفاق مفتوحة ونفّاذة ومُتحوّلة (فوّاز الطّرابلسي، ٢٠٠٩، ص ٢٧). وفي أفضل الأحوال، **"يمكن وصف المجال العامّ، بشبكة للتّواصل وتبادل المعلومات ووجهات النّظر (أي، الآراء التي تُعبّر عن مواقف سلبيّة أو إيجابيّة)، وضمن هذه الصّيرورة، تجري تصفية/ تنقية هذا الدّفق من التّواصل وتركيبه بحيث ينضوي ضمن رزم من الآراء العامّة المُتعلّقة بموضوعات محدّدة. (...) تجري إعادة المجال العامّ من خلال فعل تواصلي (*communicative action*)، يكفي للقيام به مجرّد إتقان لغة طبيعيّة"**(Jürgen Habermas, 1996, p.360).

أ- تيّار المنفعيّة التجريبيّة وممارساته في مجال التّصميم

تنطلق المنفعيّة التجريبيّة من المبدأ التجريبي الذي استلهمت منه نظرّيات علومه وأصوله مجال التّصميم. هذا الفرع المستخرج من أساسيّات المنهج التّجريبي يسمّى بالتّصميم التّجريبي أو **تجريب التّصميم (design expérimentale)**، يبحث عن أفضل الممارسات في التّصميم ليقيّمها ويحاول استخلاص الأمثلة النّاجحة، لتعمّمها بعد اكتشاف من مارسوها، والتي يتحدّد على أساسها اختيار (الجمهور، والشريحة العمريّة) وكيف جسّدوها (تجزئة المواقف والسّلوكيّات، والأحداث) والظّروف المؤسّساتيّة التي ساعدت أو عرقلت ذلك، ولعلّ التّصميم التّجريبي الذي اقترحه المصمّم Scott » «Burnham والذي نُفّذ بالتّعاون بين المؤسّستين (Droog Design) و(Exprimental Design Amsterdam) هو امتداد لمشروع **دراسة الأصوات الآليّة والتردّدات السماعيّة للمقطوعات الموسيقيّة لتجريبها حضريّا والتي أُنجزت من قبل "بيير شايفير" (Pierre Schaeffer) منذ سنة ١٩٤٨ في فضاء محطّة السّكك الحديديّة لاختبار تأثير الضّجيج على المستمع، وقد دامت التّجربة مدّة ثلاثة دقائق، عُرضت نتائج الدّراسة في نفس السّنة على تردّدات إذعة باريس أنتل مساء اليوم الخامس من شهر أكتوبر"**(Ricciarda Belgiojoso, 2010, p.41).

صورة (٢) آداء تجريبي لمقعد (Boombench)، في آمستردام سنة ٢٠٠٨ يذيع الموسيقى بتحميلها هاتفيًا واختبار مدى استجابة الافراد للتّصميم (عمريًا، زمنيًا، اجتماعيًا(Sophie barbaux, 2010, p.71) .

ب- تيّار العقلانيّة التواصليّة وممارساته في مجال التّصميم

تنطلق العقلانيّة التّواصليّة من مواقف تجريديّة مستعملة مبادئ المنطق ونتائج العلوم التّجريبيّة لتوجيه الفعل. ومن الأدوات التي تُوظّف لهذا الاتّجاه هي المعاينة الميدانيّة، والاستبيان والحديث والحوار. هذه الأدوات هي شكل من أشكال ممارسة الفعل التّواصلي. وهنا يتخلّى المصمّم عن دور القيادة التّكنوقراطيّة، ليصبح مزوّد للمعلومات، وبالتّالي فإنّ دور المصمّم هو التّفاوض والتّوسّط بين مختلف الفئات الاجتماعيّة والشّرائح العمريّة. وفيما يلي نموذج ملموس عن تصميم تأثيثي مبتكر يستجيب لحاجيات المواطنين عند الاستعمال (كالإستفادة من التّفاوت في الارتفاعات)، وفي حالات اللااستعمال (تسهيل مسارات الحركة والتنقل).

صورة (٣) "Pop up" "بوب آب" تصميم حضري يأخذ بعين الإعتبار أيضا الشريحة العمريّة للأطفال وحاجتهم إلى التنوّع في الفضاء https://urlz.fr/gt3R

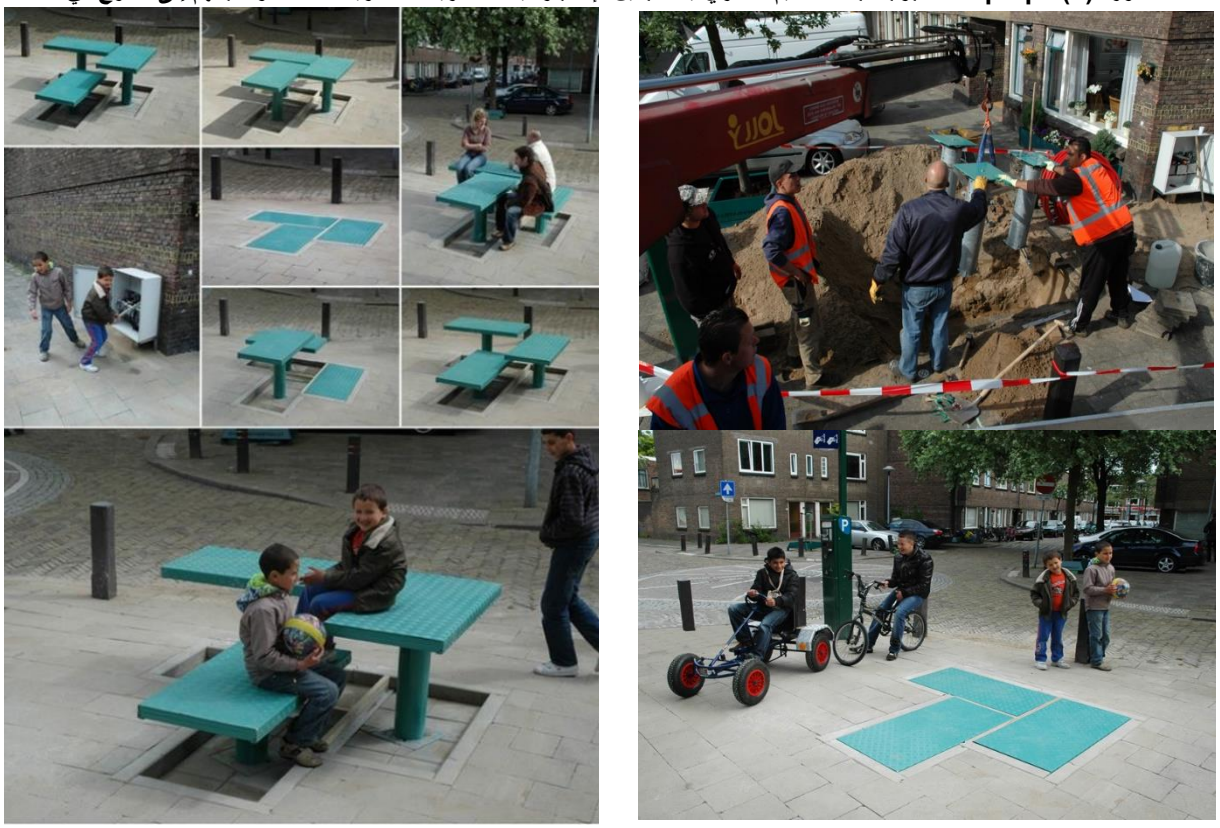

ومن مآخذ الاتّجاه التّواصلي هو أنّ قوّة الحديث من قوّة المتحدّث، ففصاحته تمكّنه من تبليغ رأيه وبالتّالي هيمنة هذه الفئة على بقيّة الفئات المستهدفة في نفس الفضاء الحضري من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ أيّ خطاب أو تواصل لا يمكن أن يُكون إلا مخترقا من قبل السّلطة. وبذلك فإنّه لا يمكن الحديث عن التواصل بمعزل عن السّلطة، لهذا دور المصمّم ينحصر في لعب دور الدّيبلوماسي. أي التّنسيق بين الرّغبات الشّعبيّة والأطراف السلطويّة.

الفرع ب-الاتّجاه العادل

بالرّغم من أهميّة النظريّة التواصليّة، إلاّ أنّها تقول أنّ صوت البعض قد يعلو أكثر من البعض الآخر، فقوّة التّواصل من قوّة المتكلّم كما سبق أن نوّهنا، وبالتّالي فإنّ ضبط عمليّة إجرائيّة عادلة هي الهدف الأنجع من التّصميم، فإذا كانت الإجراءات عادلة فإنّ المُخرجات ستكون أيضا عادلة. فتصميم أثاث المدن في العقود الأخيرة يبدو أنّه مهتمّ إلى حدّ كبير بالتّصميم العادل، وإعادة الإستفادة من الميزانيّة والموازنات العامّة. فبعد أن كانت تُوجّه هذه الميزانيات لمصلحة منطقة راقية على حساب منطقة أخرى مهمّشة، أصبحت جهود المؤسّسات العامّة والخاصّة، مركّزة حول إرساء قيم جديدة أخلاقيّة في المجتمع. على هذا الأساس، تمّ عكس الأولويّات بحيث أصبحت مفاهيم العدالة والمساواة والدّيمقراطيّة والتنوّع الاثنيّ في صدارة اهتمامات المصمّمين. من هذا المنطلق تعاضمت رؤوس الأموال والاستثمار إلى مراتب عليا في قائمة أولويّات العالم الغربي وهو ما دعت إليه "فاينيستاين" في مؤلّفها **المدينة العادلة (The just city)**.

على أرض الواقع، تحقّق هذا المشروع فعليّا من خلال الاشتغال على بعض القيم ومنها العدالة التّكنولوجيّة، مثل العمل على توفير التّكنولوجيا بالفضاءات العامّة والتي تمّ تصميمها بما يتناسب مع خصائص البيئة الخارجية للمنتوج.

صورة (٤) تصميم العادل في العاصمة الاسبانيّة برشلونة من توقيع استوديو(adriano design) Sophie Barbaux, OP. Cit, p. 25.

ويصدر مشروع العدالة التكنولوجية بدوره مشروع الحق في كونيّة الترف الاجتماعي الرّامي إلى تعزيز مفهوم التّثاقف الرّقمي بين المدن، إن الأمر هنا يتعلق بإنتاج أسلوب ثقافي جديد موجه، يلتقي مع نموذج التنمية الرقمية ورسالتها الجديدة، وهكذا لا تغدو الثقافة الرقمية أكثر من **وعي مؤسساتي**؛ لأنه في نهاية المطاف يترجم وعي المؤسسة الاقتصادية ومنها المؤسسة الصناعية والمؤسسة الاجتماعية. ونحن هنا نؤيد ما ذهب إليه صبيح فرحان وتمارا عبد المجيد في دراستهما حول الفضاء الحضري الرّقمي (الواقع الافتراضي) بالإشارة إلى أهميّة **« دور تقنيات المعلومات والفضاء الرّقمي في عمليّة التّخطيط التي تكون على المقياس العالمي بحيث تتجاوز الفروقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والاقليميّة حيث تقرّب المسافات بين المدن من خلال شبكة المعلومات والنّقل وتغيّر النّظام المكاني مشكّلة شكلا جديدا من المدن وبالتّالي تشكيل إطار عمل جديد للتّخطيط الحضري. إنّ تقنيّات المعلومات تشكّل الفضاء الرّقمي الذي يرتبط بعلاقة تغذية إرجاعيّة مع التّخطيط الحضري وإنشاء ما يسمّى بالتّنمية الرقميّة** (صبيح لفتة فرحان، تمارا عبد المجيد، ٢٠١٦، ص٦٦).

ولنلق نظرة على بعض العمليات التنفيذيّة لمشروعات تكنولوجيا المعلومات المتفرعة عن تقنية المعلومات أو تكنولوجيا المعلومات والتي تدمجها بعض مؤسسات صناعة الأثاث الحضري، وعلى رأسها اليوم مؤسسة جون كلود ديكو... يصنّف التّصميم الذّكي إلى ثلاثة أصناف يُعنى الصّنف الأوّل بتطبيق خطوات وإدارة التصميم منذ البداية، ويعتمد هذا الصّنف على التكوين والتفاعل الذّاتي بين كفاءات المؤسسة الواحدة باعتبارهياكلها التنظيميّة أطراف فاعلة في مجتمع تقنية المعلومات (أُنظر الصّورة رقم (٥)). أمّا فيما يتعلّق بالصّنف الثّاني فإنّه يقوم على التكامل والتنسيق بين المؤسستين الصناعية والخدماتية، ويظهر ذلك من خلال التّعاون المشترك بين المؤسّسات العريقة في مجال الاتّصالات والخدمات وبين المؤسسات التّقليديّة المتخصصة في صناعة وتصميم أثاث الشّارع. لتستعين هذه الأخيرة بخبراء من خارج المؤسسة في مجال البرمجة والحوسبة من أجل تطبيق تكنولوجيا وتوظيف أنظمة المعلومات المناسبة للتصميم. على هذا الأساس ينطبق الصّنفين الأوّل والثّاني على التّصميم الجديد كونه مركزا وقطبا ومحورا. في المقابل، فإنّ الصّنف الثّالث من الأثاث يعتمد على التركيب والتحوير والتّأليف التكنولوجي المبني على أساس قاعدة بيانات سابقة جاهزة في التصميم القديم، يقع بموجبها اقتراح أدوات محتملة للتّعديل التّقني، إذن عبر إضافة التكنولوجيات والتقنيات ذات العلاقة مع التّصميم الجاهز مسبقا يتسنّى للمؤسّسة تطوير أهدافها وغاياتها.

صورة (٥) ينتمي تصميم حاوية bomb-proof litter bins الذكي المضادّ للهجمات في لندن إلى الصّنف الأوّل من المؤسسات الصناعيّة، فالتصميم بمقوماته الجماليّة، والوظيفيّة، والتقنية منجز في نفس المؤسّسة

ميديا ميتريكاmedia metrica

ومن زاوية أخرى، يمثّل الفضاء الحضري الفيزيائي بدوره ركيزة بيانات ومعلومات تقنية مفيدة للمصمم مستقبلا، وهو بهذا المعنى يشكّل بنية حضريّة جديدة حيث أصبح ممكنا دمج الفضاءين المادّي والافتراضي. يرتبط الأمر في هذا السّياق بإخراج أسلوب مهني احترافي جديد يتحدد فيه **الفضاء الحضري المعرفي (cybenrnetic space)** مركزا ثابتا وهوامش قارّة.

استنتاجات:

بصفة ملموسة، حقّقت بعض المؤسّسات الصّناعيّة التأثيثيّة العالميّة التي اشتغلت على تطوير صياغة استراتيجيّاتها السياسيّة انتصارات عزّزت من أسس التّرابط الاجتماعي وثمّنت بعض القيم الحضريّة وقد تجسّد ذلك من خلال استقطاب الجماهير بالفضاء العامّ ممارسة وفعلا. تحقّق ذلك فعليا، بالعمل على التركيز التّقني للبحوث والأدوات الميدانيّة وبإرساء قيم التّواصل والتّشارك والعدالة التكنولوجيّة والاجتماعيّة، وبالتّالي تثمين قيمة المواطنة. لذلك يبدو من البديهي أنّ المؤسّسات الأخرى التي أسقطت من آفاقها إدارة التّصميم ليست مؤهّلة لأن ترتقي إلى مصاف المؤسّسات المسؤولة تجاه قضايا مجتمعاتها.

النّتائج:

يشير البحث إلى النّتائج الآتية:

- أضفت القضايا الحضريّة المعاصرة نوعا من الزّخم المعرفي والابداعي أثرى ذلك حقل التّصميم وعزّز من روح التحدّي بين المصمّمين.
- إظهار الطّرائق والأدوات المتنوّعة والمختلفة التي تعتمدها مؤسّسة صناعة أثاث الشّارع للتّوفيق بين الممارسة المعياريّة داخل الممارسة وبين الممارسة الواقعيّة التّوصيفيّة أو التّجريبيّة في الميدان الحضري.
- تفكيك سير المشاريع التّصميميّة الحضريّة المتراوحة بين تعقيد العمليّة التّصميميّة وطبيعة التّغذية الرّاجعة في الفضاء الحضري الحيّ.
- إنّ الخطط الإستراتيجيّة المؤسّساتيّة المعاصرة ليست بمعزل عن حبكة العمليّة التصميميّة الميدانيّة صلب الفضاءات الحضريّة وفنون إدارتها.
- إنّ المستوى التّشغيلي والمستوى الاستراتيجي وجهان لعملة واحدة تتمثّل في إدارة التّصميم الحضري من أجل رفع التحدّيات الانسانيّة الحضريّة وتجاوز الاختلافات والتّنويعات الكامنة فيها.

التّوصيات:

بناءً على النّتائج التي تمّ التوصّل إليها، يوصي البحث بما يلي:

– ضرورة مزيد انفتاح المؤسّسات الصناعيّة المختصّة في تصميم أثاث الشّارع على المستجدّات العلميّة والمعرفيّة ذات العلاقة بالفضاء الحيّ المباشر إستجابة لانتظارات المجتمعات لحلّ مشاكلهم.

– الاهتمام بتحليل إدارات تصاميم أثاث الشّارع في المستويات الثلاثة الاستراتيجيّة والتّشغيليّة والتّكتيكيّة معًا، وذلك من خلال الرّبط بين النّتائج التي تمّ التوصّل إليها إجرائيّا وميدانيّا وبين تقنيات العمل التّسويقي للمدن وأثاثها.

– ضرورة استكشاف اتّجاهات ومسالك معرفيّة مغايرة بغية توظيفها في مجال التّصميم وبهدف حلّ الإشكاليّات الحضريّة التي لا تزال عالقة.

الخاتمة:

إنّ التطوّر الذي طرأ على المؤسّسات المختصّة في صناعة الأثاث الموجّه إلى الفضاءات الحضريّة هو في نهاية المطاف ليس سوى صورة تعكس التطوّر الحاصل في إدارة التّصميم بمستوياته الاستراتيجيّة والتّشغيليّة داخل المؤسّسات.

على هذا الأساس، فإنّ المؤسّسات الطلائعيّة التي اختارت إدارة تصاميمها على النّحو الآتي: تجربة الأثاث المتعدّد الإثنيّات، تجربة الأثاث العادل، تجربة تصميم أثاث الأنساق التحليليّة (الوضعيات)، كمناهج صناعيّة تستشرف المستقبل وتجاريه، هي مؤسّسات سعت إلى عقلنة العمليّة الإبداعيّة والتّفكير الرّصين في كيفيّة إدارة التّصاميم والمشاريع الحضريّة المعقّدة، وذلك تحت إشراف هياكل تنظيميّة بشريّة متناغمة (عادة ما تتألّف من قائد التّصميم ومدير التّصميم والمصمّم) هدفها التوصّل إلى حلّ إشكاليّات ذات علاقة ضروريّة بعمليّات التلقّي في الفضاءات الحضريّة، بما أنّ مبدأ التلقّي الإيجابي يَشترطُ المُلائمة مع قانون المرجع الجيّد والمُتجسِّدِ في النّتاج التّصميمي، حيثُ يكونُ المقياس الأساسي لنجاح التّصميم ومطابقة شروطه مع معايير الجودة. لكنّ هذه النّتاجات تبقى رهينة المحتويات التي ينقُلُها المصمّم إلى المارّة وإلى المُستعمِلين.

من هذه الزّاوية المتعدّدة الجوانب، تكون المجتمعات في حالة استقصاء دائم لملامح المرجع المناسب بما يسمح لها باكتساب لغات جسديّة وذهنيّة جيّدة مُرهفة قوائمها التّصاميم الجيّدة والمُتفرّدة.

هذا التفرّد لا ينفي، التحديّات الإجرائيّة التي قد تواجهها المؤسّسات الصناعيّة المتميّزة ذوات الإشعاع العالمي نتيجة لاشتداد المنافسة مثل طوارئ المواقف. وكذا صعوبة التحكّم الكلّي في ضمان سير العمليّة التّصميميّة، وكيف لها أن تُدار، حيث أنّ كلّ مشروع يمرّ بدورة حياة خاصّة، وبمراحل مختلفة تبدأ بمرحلة الإدخال والنموّ والنّضوج، ومن ثمّ يعقبها المرور بمرحلة التشبّع ومن ثمّ الإنحدار، هذه المرحلة التي تقتضي يقظة وانتباها للمحافظة على سمعة المؤسّسة الصناعيّة وحماية قيمة علاماتها التجاريّة من التّراجع. يشمل هذا التحدّي أيضا، بوقع أكثر حدّة المؤسّسات الصناعيّة التقليديّة التي أسقطت من مخطّطاتها التّصميميّة مسألة القيم. ناهيك أنّ المشاريع التصميميّة المتميّزة استراتيجيّا وتشغيليّا تتأسّس على معادلات قيم التّواصل والعدالة والحكمة. وهذا يعني أنّ التزام المصمّم أمام المجتمعات يقتضي بحثا جادّا وسعيا دؤوبا وراء المعارف والعلوم مثل علم الاجتماع والفلسفة وعلوم التّصميم وعلم إدارة التّصميم.

قائمة المراجع:

- **باللّغة العربيّة**

– الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، كتاب الصّحاح في اللّغة، دار الحديث، مصر، مجلّد ١، ٢٠٠٩.

 aljawhari , 'iismaeil bn hmmad , kitab alsshah fi alllght , dar alhadith , misr , mjlld 1 , 2009.

– الطّرابلسي، فوّاز، "المجالات العامّة، الفضاء الحضري: مقاربة نقديّة مقارنة"، (ترجمة مها محبوب)، مجلّة إضافات، العدد ٥، (٢٠٠٩).

 alttrablsy , fwwaz , almajalat aleammt , alfada' alhadrii: muqarabat nqdyt muqaranatan ", (tarjamat muha mahbuba) , mjllt 'iidafat , aleadad 5 , (2009).

– جون لوك، "مقالة في العقل البشري"، أوفير بلوك (OverBloc) (ترجمة أحمد أغبال)، ٩ فيفيري 2010: http://sophia.over-blog.com/article-44591689.html

jun luk , "maqalat fi aleaql albashari" , 'uwfir bluk ('uwfir bluk) (tarjamat 'ahmad 'aghbal) , 9 fifiri: 2010 http://sophia.over-blog.com/article-44591689.html

– عمر، أحمد مختار، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، مصر، الطّبعة ١، المجلّد ١، (٢٠٠٨).

 eumar , 'ahmad mukhtar , muejam alllght alerbyt , taedil , kutub , misr , alttbet 1 , almjlld 1 , (2008).

– عمرو، دانة خالد، إشراف كامل المغربي، "علاقة إدارة التّصميم بتحقيق الميزة التنافسيّة"، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، جامعة الشّرق الأوسط للدّراسات العليا، كليّة الأعمال، الأردن، (٢٠٠٩).
 eamrw , danat khalid , 'iishraf kamil almaghribii , "ealaqat 'iidarat alttsmym bitahqiq , risalat altnafsy" , risalat majistir fi 'iidarat al'aemal , jamieat alshshrq al'awsat lildirasat aleulya , klyt al'aemal , al'urduni , (2009).
– فرحان، صبيح لفتة، تمارا معتزّ، عبد المجيد، "أثر الثّورة الرقميّة في التنظيم الفضائي للمحلّة السكنيّة"، مجلّة المخطّط والتّنمية، العدد ٣٥، (٢٠١٦).
 farhan , sabayh laftat , tamaran metz , eabd almajid , 'athar alththwrt almubdieat fi altanzim alfadayiyi llmhllt alsknyt , mjllt almkhttt walttnmyt , aleadad 35 , (2016).
– لدرع، الطّاهر، "الاتجاهات الحديثة في نظريّة التّخطيط العمراني: من عموميّات النظريات المعياريّة إلى خصوصيات الممارسة بحكمة في الواقع"، مجلّة العمارة والتّخطيط، جامعة الملك سعود، كليّة العمارة والتخطيط، العدد ١٦، (٢٠١٦).
 lidare , alttahr , "alkhanat alhadithat fi nzryt alttkhtyt aleumrani: min emwmyat alnazariaat 'iilaa alnazariaat alsaabiqat bihikmat fi alwaqiea" , mjllt aleimarat walttkhdh , jamieat almalik sueud , klyt aleimarat waltakhtit , aleadad 16 , (2016).
– مجلس أبو ظبي للتّخطيط العمراني، "دليل تصميم الشوارع الحضرية، مجلس ابو ظبي للتخطيط العمراني"، رؤية ٢٠٣٠، العدد ١، أبو ظبي، (٢٠١٣).
mukhatat aleumranii , ruyat 2030 , aleadad 1 , 'abu zaby , (2013).

- **باللّغة الأجنبيّة**

– Barbaux, Sophie, “Les objets urbains: Vivre la ville autrement”, Paris, Ici, Interface, (2010).
– Bégard, Diane, “Pour une apologie du Banc public: Essai sur le rôle des bans publics dans l’espace public”, mémoire de master recherche en Géograpie sociale, Université de Renne II, Renne, Paris, (2009).
– Belgiojoso, Ricciarda, “Construire l’espace urbain avec les sons”, L’Harmattan, Paris, (2010).
– “Cambridge Dictionary of American English”, Cambridge University press, (2007), p.43.
– Cautela, Cabirio, et al, “Instrument de design Management”, Boeck, Bruxelles, 1re edition (2012), p.23.
– Faludi, Andreas, “Territorial cohesion: Old (French) Wine in New Bottles?” Sage Publications, Vol. 41, No.7, (2004).
– Habermas, Jürgen, “Between Facts and Forms, contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy”, (MA: MIT Press, Cambridge, (1996).
– Viale, Stéphane, “Court traité du design”, Quadrige, France- Paris, (2010).

[1] هي نظريّة أسّس لها جاك فونتاني، وقد ورد أيضا المصطلح في أدبيّات إريك لوندوفسكي في التّفاعلات المُجازِفة.